الحياة الطيّبة
السنة 20
العدد 35
خريف 2016 م
أبحاث ودراسات

الشعائر الحسينية.. منهج التطبيق

أ.د. الشيخ محمد شقير[1]

خلاصة المقالة:

تحاول هذه المقالة تقديم منهج يهدي إلى الوجهة الصحيحة في تطبيق الشعائر وإحيائها، ويساعد على صحّة تشخيص مصاديقها، بما يمكن أن يؤدّي الى إيجاد قاعدة منهجية، تصلح للاعتماد عليها في معالجة اختلافات التطبيق في نماذج الإحياء الشعائري، وبما يساعد على تجنّب التطبيقات الخاطئة، والمصاديق التي لا تصدق عليها مشخصات المنهج ومعاييره، وبما يسهم في تطوير الإحياء الشعائري بشكل منهجي وصحيح، ويؤدي إلى إيجاد دينامية منهجية للتجديد الدائم فيه، وبما يؤسّس لإمكانية استحداث نماذج إحيائية جديدة لم تكن من ذي قبل؛ لكنّها قد تصلح لتكون من أهم مصاديق الإحياء الشعائري وموارده.

وعليه، بعد البحث في مفهوم الشعائر والمنهج، تتناول المقالة الأدلّة على الشعائر والمفاهيم المستقاة منها، ثم تجيب عن هذه الأسئلة: هل اعتنت أدلة الشعائر بالمفاهيم والكبريات فقط، أم إنّها اعتنت أيضًا بالمصاديق والصغريات؟ لماذا لم تُذكر جميع مصاديق الشعائر بشكل حصري في لسان الأدلة؟ وما هي أهمية هذه البنية المنهجية (المفهوم / المصداق)، (الكبرى / الصغرى)؟ وما هي فلسفتها وأهم النتائج التي قد تترتب عليها؟ وكيف تحصل عملية تطبيق المفاهيم على مصاديقها؟ ومن الذي

(1) باحث في الفكر الإسلاميّ، من لبنان.

يقوم بعملية التطبيق تلك؛ أي تطبيق تلك المفاهيم على مصاديقها، والكبرى على صغراها؟ وما هي شروط التطبيق ومعاييره؟ وكيف تُمارس عملية التطبيق تلك؟ وصولاً إلى البحث في فلسفة إحياء الشعائر، ودلالات الممارسة الشعائرية، وضرورة تعزيز الشعور بالمسؤولية وخطرها في ما يتصل بتلك الشعائر، إلى خاتمة تحاول عرض أبرز النتائج التي تمّ التوصّل إليها، وأهمّ التوصيات والمقترحات التي يمكن أن تُقدَّم في هذا الصدد.

مقدّمة:

للشعائر الحسينية أهمية كبيرة في الوعي الديني والممارسة الاجتماعية للمسلمين الشيعة في مختلف البلدان والمجتمعات، حيث يعبِّرون عن اعتقادهم بتلك الشعائر من خلال إقامة مجالس العزاء، والمسيرات، والاحتفالات، والزيارات لأئمة أهل البيت عليهم السلام، والعديد من الأعمال الفنية والمسرحية، أو الثقافية، أو الاجتماعية، التي تدخل تحت ذلك العنوان؛ أي إحياء الشعائر الحسينية، أو إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام.

وعلى الرغم من وضوح مفهوم الشعائر، وإحيائها إلى حدٍ بعيد، وعلى الرغم من الاتفاق على العديد من مصاديق تلك الشعائر وتطبيقاتها؛ فقد وقع الاختلاف والنقاش في العديد من المصاديق الأخرى[1]: هل تعدّ تطبيقًا صحيحًا ومصاديق صائبة لمفهوم الشعائر الحسينية وإحياء الأمر أم إنها ليست كذلك؟

وهذا ما يستدعي منا البحث في منهج تطبيق الشعائر؛ لأن الإشكالية تكمن -أكثر ما تكمن- في عملية التطبيق تلك، وفي تشخيص المصاديق التي ينطبق عليها مفهوم الشعائر وإحياء الأمر، وفي تحديد الموارد التي تدخل في إطار إحياء تلك الشعائر الحسينية وإقامتها.

إن الأسئلة التي ينبغي أن تطرح هي الآتية: هل يوجد منهج في تطبيق

(1) المراد من هذه المصاديق في هذا البحث هو المصاديق غير المنصوصة، والتي لا دليل واضح وثابت عليها، وإنما وقعت مورداً للجدل والنقاش.

الشعائر الحسينية؟ ما هي ميزات هذا المنهج أو سماته، وما هي وظيفته؟ ما هي النتائج التي يمكن أن تترتب على بلورة هذا المنهج وبنائه؟ وقبل كل ذلك، هل من المبرّر معرفيًا طرح هذا السؤال حول ضرورة المنهج في تطبيق الشعائر، أم لا ضرورة لذلك؟ فضلًا عن مفهومنا للمنهج الذي سوف نعمل على صناعته، في إطار الشعائر الحسينية وتطبيقها.

أولًا: مفهوم الشعائر والمنهج:

الشعائر جمع شعيرة، وهي بمعنى العلامة، التي تدل على شيءٍ ما. فالشعائر هي العلامات التي تدل على شيءٍ ما ذي مكانة أو قدسية، مع غض النظر عن طبيعة تلك المكانة، أو مضمون تلك العلامة[1].

أما الشعائر الحسينية، فهي تلك الأعمال والأمور التي تدل على معاني ثورة الإمام الحسين عليه السلام ورسالته ومدرسته، وتؤدّي في حال إقامتها وممارستها الى إحياء تلك المعاني؛ بل إلى إحياء تلك النفوس والمجتمعات بتلك المعاني، التي جاءت في رسالة الإمام الحسين عليه السلام، ومدرسته، وثورته. حيث يمكن لتلك الأعمال أو الممارسات أن تأخذ طابعًا اجتماعيًّا، كالاحتفالات والمسيرات ومجالس العزاء، أو إعلاميًّا، من قبيل كثيرٍ من النشاطات الإعلامية التي تقام في المناسبات العاشورائية، أو فكريًّا وثقافيًّا، من قبيل الندوات والمؤتمرات والمحاضرات التي تقام في هذا السياق، أو فنيًّا، من قبيل المسرحيات والأفلام التلفزيونية، وغيرها مما يرتبط بهذا الجانب.

ثانيًا: أدلّة الشعائر:

ربما يأخذ التعبير الشعائري أبعادًا أخرى غير ما ذكرنا، لكن ذلك كله ينبغي أن يكون مما تصدق عليه المفاهيم الدينية، التي وردت في مدرسة

(1) انظر: المعجم الوسيط، ط2، إستانبول، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ص485.

أهل البيت عليهم السلام حول قضية الشعائر الحسينية وإحيائها، وأن تنطبق عليه العناوين المستفادة من الأدلة الدينية والشرعية ذات الصلة.

وهذا ما يتطلب منا أن نعرض جملة تلك الأدلة الشرعية التي ترتبط بالشعائر الحسينية وإحيائها، حتى نكون على دراية بمنظومة المفاهيم التي أسست لتلك الممارسات الشعائرية؛ بل لتلك الظاهرة الفريدة في الشعائر الدينية وإقامتها.

ويمكن القول إنّ أدلّة الشعائر الحسينية على قسمين: قسم منها يتضمّن عنوانًا عامًّا ينطبق على مصاديق مختلفة من تلك الشعائر، وقسم آخر يتضمن عنوانًا خاصًّا بأحد مصاديق تلك الشعائر. وسوف نقدم هنا عرضًا مجملًا عن كليهما، لنسأل حول العلاقة بين هذين القسمين، أي القسم الذي يتضمّن عنوانًا عامًّا صالحًا للانطباق على مصاديق شعائرية مختلفة، والقسم الذي يتضمّن عنوانًا خاصًّا بمصداق شعائري محدد.

أما تلك الأقسام من العناوين فهي ما يلي:

1 - القسم الأول: لعلّ من أهمّ العناوين العامة ما ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام من روايات تدعو إلى إحياء أمرهم، من قبيل قول الإمام الباقر عليه السلام: «أحيوا أمرنا، رحم الله من أحيا أمرنا»[1]، حيث إنّ مفهوم إحياء الأمر هو مفهوم عام يشتمل على مصاديق مختلفة، ويستوعب جميع مصاديق الشعائر الحسينية، مما ذكرتها الروايات، أو لم تذكرها.

2 - القسم الثاني: وهو مما جاء في رواياتهم عليهم السلام من تحديد لعناوين بعينها، ولمصاديق محدّدة من الشعائر الحسينية، من قبيل دعوتهم إلى البكاء، والتباكي على الإمام الحسين عليه السلام، وإقامة المآتم، وإظهار الجزع عليه، والندب، وزيارة مرقده، وجعل الأيام العشرة الأوائل من محرم أيام حزن ومصيبة وبكاء، إلى إنشاد الشعر وإنشائه في الحسين عليه السلام، وغيرها العديد من تلك المصاديق الجزئية، التي جاءت

(1) الحر العاملي، محمد بن الحسن: هداية الأمة إلى أحكام الأئمّة عليهم السلام، ط1، مشهد المشرّفة، مجمع البحوث الإسلامية، 1414هـ ق، ج5، ص137.

بها الأدلة، أو وقعت موردًا للنقاش العلمي في مشروعيتها، وكونها من مصاديق الشعائر أم لا[1].

أما عن العلاقة بين هذين القسمين، فسوف يظهر لنا لاحقًا بشكل أوضح أن هذه العلاقة هي علاقة بين مفهوم (إحياء الأمر)، وبين مصاديق (البكاء، الزيارة، المآتم..). وبالتعبير المنطقي -أيضًا- هي علاقة بين كبرى (إحياء الأمر) وبين صغريات؛ وهي مجمل الموارد التي ذكرناها في القسم الثاني، وغيرها مما لم نذكره.

ثالثًا: منظومة روايات الشعائر الحسينية وتصنيفها:

يُفهم مما تقدم أنّ منظومة روايات الشعائر الحسينية الواردة عن أهل البيت عليهم السلام كانت على قسمين: قسم عُني بالمفهوم العام للشعائر، والقسم الآخر عُني بالمصاديق الخاصة لتلك الشعائر، حيث يُلحظ أنّ تلك المنظومة الروائية لم تقتصر على المفهوم العام (الكبرى) للشعائر، ولم تدع التطبيقات والمصاديق بأسرها لتشخيص الاجتماع الديني.

وفي المقابل لم تقتصر على المصاديق الخاصة (الصغريات)، كما لم تُعرض عن المفهوم وعن كبرى تلك الصغريات؛ وإنما ضمّت إليها مفهومًا عامًّا (كبرى)، تشكّل مصاديق شعائرية له، وصغريات لكبراه.

وعليه، يمكن القول إنّ هذه المنظومة الروائية هي منظومة ذات بعد ثنائي، أو هي بنية ثنائية، أي: مفهوم/ مصداق، أو: كبرى/ صغرى، فلم تأت هذه البنية مشتملة على المفهوم خاليةً من المصداق، كما لم تأت مشتملة على المصداق خاليةً من المفهوم؛ وإنما اشتملت عليهما معًا، وأدرجتهما (المفهوم والمصداق) في بنيتها جنبًا إلى جنب.

وهذا ما يطرح السؤال في فلسفة هذه الثنائية في المنظومة الروائية وغايتها.

(1) لقد بادر سماحة العلامة السيد محمد حسن ترحيني إلى تأليف مصنّف خاص بالشعائر الحسينية المنصوصة؛ بعنوان: «الشعائر الحسينية المنصوصة» (بيروت، دار الهادي، 2002م).

لكن قبل ذلك لا بدّ من طرح السؤال الآتي، وهو وإن كان يدخل ضمنًا في السؤال السابق، لكن من المفيد منهجيًّا إفراده في البحث؛ وهو: لماذا لم تقتصر المنظومة الروائية الواردة عن أهل البيت عليهم السلام على مصاديق الشعائر الحسينية، ولماذا لم تدع ما سواها من المفهوم والكبرى؟

رابعًا: منظومة روايات الشعائر الحسينية وتجاوز المصاديق:

من الواضح أنّ منظومة روايات الشعائر الحسينية الواردة عن أهل البيت عليهم السلام لم تقتصر على بيان المصاديق الشعائرية، ولعلّ الهدف من ذلك هو أنّ الاقتصار على ذكر تلك المصاديق فقط، كان من الممكن أن يؤسّس لفهم التوقيفية والحصرية في جميع تلك المصاديق الشعائرية التي وردت في روايات أهل البيت عليهم السلام، وهو ما سوف يؤدّي بدوره إلى عدم إمكانية اعتماد مصاديق جديدة، لم ترد في لسان تلك الروايات، كما سيؤدّي إلى عدم الأخذ بنماذج شعائرية مستحدثة، لم تأتِ في متن تلك النصوص، مع أنّ صناعة الشعائر تدخل في جانب منها في البعد الاجتماعي المتحرك؛ بمعنى أنّ المتغيّرات الاجتماعية قد تفضي إلى إمكانية إنتاج مصاديق شعائرية جديدة، لم تكن موجودة من ذي قبل، لكنها تحمل قيمة شعائرية كبرى. أما القول بحصرية المصاديق الشعائرية، فسوف يقفل الباب على إمكانية إنتاج تلك المصاديق الشعائرية الجديدة، واعتمادها، والاستفادة منها.

ومن هنا لا بد من القول، إنّ ذكر مجمل مصاديق الشعائر الحسينية في روايات أهل البيت عليهم السلام، لا يراد منه حصرية تلك المصاديق، وإقفال الباب على إمكانية استحداث مصاديق جديدة، تنسجم مع شروط الشعائر ومعاييرها وأهدافها. وإنما يُراد منه القول إنّ هذه المصاديق الشعائرية هي من أهم تلك المصاديق -بل أهمّها- التي استطاعت في التاريخ -وما زالت إلى الآن- أن تؤدي بشكل فاعل ومؤثر وظيفة إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام، واستمرار مدرستهم ونهجهم، مع فتح الباب لإمكانية استحداث مصاديق شعائرية جديدة.

خامسًا: البنية المنهجية لمنظومة روايات الشعائر الحسينية وفلسفتها:

لقد أصبح جليًّا إلى الآن أن منظومة روايات الشعائر الحسينية تقوم على هذه البنية المنهجية، وهي: مفهوم/ مصداق، أو: كبرى/ صغرى، حيث إنّ بعض الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام تضمّنت بيان المفهوم أو الكبرى (إحياء الأمر)، في حين أنّ روايات أخرى تضمّنت بيان جملة من المصاديق الشعائرية، مع إمكانية استحداث مصاديق جديدة.

والسؤال هنا هو في فلسفة هذه البنية المنهجية، لماذا كانت على هذه الكيفية؟ وما الفوائد والنتائج التي قد تترتّب على هذه البنية؟

يمكن أن نتلمس هنا العديد من النتائج التي تترتب على تلك البنية المنهجية، وهي:

1 - عدم الاقتصار على تلك المصاديق الشعائرية، التي وردت في روايات أهل البيت عليهم السلام، مع كونها من أهم المصاديق الشعائرية، التي قامت بدور استثنائي وكبير جدًا في التاريخ -وما زالت- في إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام، والحفاظ عليه. لكن هذه المصاديق وإن كانت ثابتة بتغير الزمان والمكان، فهي ليست مصاديق حصرية.

2 - تؤسِّس تلك البنية لدينامية مستديمة وخلاّقة في تطوير الشعائر الحسينية؛ بمعنى أنها تفتح الباب على إمكانية أن يُعمل على رؤية ذات شروط ومعايير منهجية، قادرة على تلقّف جميع المتغيرات والتطورات الاجتماعية وغيرها، بهدف اجتراح نماذج مستحدثة، وإنتاج مصاديق شعائرية جديدة، تنسجم مع وظيفة الشعائر وشروط صناعتها، وتكون قادرة على القيام بأكثر من دور في إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام، والحفاظ عليه.

إذًا، فهذه البنية المنهجية هي بنية قادرة على استيلاد تلك المصاديق الشعائرية الجديدة التي يجب العمل على صناعتها واستحداثها تبعًا للتطورات والمتغيرات الاجتماعية، والعلمية، والاختلاف في ظروف العصر.

3 -مراعاة الزمان والمكان في تطبيق الشعائر؛ بمعنى أنّ تطبيق الشعائر وإقامتها له بعد اجتماعي واضح لا يمكن إنكاره، يتصل بالعادات، والأعراف، والتقاليد، والثقافة المجتمعية... -طبعًا الحديث هنا ليس في تلك الشعائر الثابتة والمنصوصة، التي تتصل بالبعد الفطري الثابت، وإنما الكلام في تلك الشعائر المستحدثة، التي تدخل في مساحة التغيّر- ومن هنا يمكن لإحدى الشعائر الحسينية أن تؤدّي دورها في الإحياء، وتقوم بجميع وظائفها في زمانٍ ما، لكنّها قد لا تكون كذلك في زمانٍ آخر. ويمكن لإحدى الشعائر أن تؤدّي ذلك الدور، وتقوم بتلك الوظائف في مكانٍ ما، لكنّها قد لا تكون كذلك في مكانٍ آخر.

والسبب في ذلك أنّ اختلاف الزمان والمكان، وما يعنيه ذلك من اختلافٍ في الأعراف، والتقاليد، والثقافة المجتمعية، وغير ذلك؛ قد يؤدّي إلى اختلاف النتائج والآثار التي تترتّب على هذه الشعيرة أو تلك، وإقامتها. فلربما تكون النتائج السلبية أكثر بكثير من النتائج الإيجابية، ولربما يكون العكس من ذلك. وذلك بحسب تلك الظروف والاعتبارات الاجتماعية والثقافية، واختلافها بين مكانٍ وآخر، أو بين زمانٍ وآخر، وهو ما يستدعي ملاحظتها بشكل دائم من أجل بحث مجمل الإيجابيات والسلبيات، التي قد تترتب على هذا التطبيق الشعائري أو ذاك، ومن ثم تقويمها فما غلبت إيجابياته سلبياته يُعمل به، وما غلبت سلبياته إيجابياته يُعرض عنه.

وهذا ما يتطلّب أن تؤخذ بشكلٍ واعٍ وهادفٍ شروط الزمان والمكان، دون حماسة مفرطة، قد تعطّل دور العقل والوعي، ولربما تسيء بشكل أو بآخر إلى معاني الإحياء وأهدافه، هذا من جهة. ودون مغادرة ثقافة الاعتزاز، وقيم الانتماء إلى الحسين عليه السلام، ورسالته، وشعائره، والتعبير عنها، وإقامتها بثقة عالية، وعزة كافية، من جهة أخرى.

سادسًا: شروط التطبيق الشعائري:

إن عملية التطبيق الشعائري ليست تلك العملية التي تتميّز ببساطتها؛ وإنما هي عملية تحتاج إلى مراعاة شروطها والالتزام بها، حتى يمكن لها أن تنتج تلك المصاديق الشعائرية، التي تؤدّي وظيفتها، وتحقّق مقاصدها، دون ترتّب تلك النتائج السلبيّة عليها.

وبما أنّ عملية التطبيق الشعائري ذات بعدين: بعد مفهومي، وبعد واقعي اجتماعي؛ فهذا يعني ضرورة وجود شروط منهجية لتلك العملية، تتماهى مع هذين البعدين.

أما أهم تلك الشروط المنهجية، التي ينبغي مراعاتها في عملية الاستحداث تلك، فهي:

1 -فهم الشعائر وفلسفتها بشكل منهجي، ومعرفة قيمها ورسالتها، والدراية بتلك الأهداف التي تسعى إلى إنجازها على المستوى التربوي، الثقافي، المعنوي، الديني، الإعلامي، الاجتماعي، وعلى مستوى صناعة الوعي وتنمية المجتمعات، وما سوى ذلك.

2 -فهم الواقع الاجتماعي الذي يراد استحداث المصداق الشعائري وإقامته فيه، ومعرفة عاداته، وأعرافه، وثقافته المجتمعية، وجميع العناصر الأخرى الدخيلة في ترتّب هذا النوع أو غيره من النتائج، على هذه الممارسة الشعائرية، أو تلك.

3 -القدرة على الوصل الصحيح والهادف ما بين فهم الشعائر وأهدافها وقيمها من جهة، وما بين الواقع الاجتماعي وعاداته وأعرافه وثقافته من جهة أخرى، لأنه لا تكفي المعرفة بالمفهوم والواقع، من دون أن تكون هناك إمكانيات منهجية وعلمية وتخصصية (مجمل التخصصات والعلوم ذات الصلة) كافية، تسهم في عملية الوصل المنهجي الصحيح ما بين المفهوم والواقع.

وهنا لا بدّ من القول، إنّ تحصيل هذه الشروط يعتبر أمرًا ضروريًّا

لتحقيق أهداف الشعائر، وصحّة إقامتها واستحداثها. كما إنّ أي إخلال بأيٍّ من هذه الشروط، أو عدم تحصيلها بشكل كافٍ؛ سوف يؤدّي إلى وجود خللٍ ما، أو نقصٍ ما، في استحداث المصاديق الشعائرية الصحيحة، أو في صحة إقامتها، أو في صوابية ممارستها، ما قد يؤدّي إلى ترتّب بعض النتائج التي لا تنسجم مع أهداف الشعائر ومقاصدها ومجمل قيمها.

سابعًا: كيفية تطبيق الشعائر واستحداث مصاديقها:

إذًا، فقد وصلنا إلى هذه النتيجة؛ وهي أنّ منظومة الشعائر الحسينية تمتلك بنيتها التي تقوم على ثنائية: المفهوم والمصداق (أو الركنين: الكبرى والصغرى).

أمّا المفهوم فقد تمّ بيانه، وبيان مجمل ما يتصل به في النصوص الدينية ذات الصلة. وأمّا المصاديق فقد بُيّن العديد منها -أيضًا- في تلك النصوص، وإن كان ثمة إمكانية لاستحداث مصاديق شعائرية جديدة، ينطبق عليها ذلك المفهوم، وتصدق عليها تلك الكبرى.

وبناءً عليه، ففي مقام الإجابة عن السؤال حول كيفية التطبيق الشعائري، لا بد من أن نضيف هنا عملية استحداث مصاديق جديدة ترتبط ببعدين اثنين: البعد المفهومي (مفهوم الشعائر)، والبعد الاجتماعي (ظروف المجتمع وجميع اعتباراته)؛ وهذا يعني أنّ عملية التطبيق يجب أن تتمّ على النحو التالي: يُنظر أولًا في مفهوم الشعائر لمعرفة رسالتها وأهدافها، وقيمها، وجميع أبعادها. ثم يُنظر في ذلك الواقع الاجتماعي الذي يُراد إقامة الشعائر فيه، ويُدرس في عاداته، وأعرافه، وتقاليده، وثقافته، وجميع اعتباراته، وذلك بهدف معرفة أية ممارسة شعائرية تحقّق أهداف الشعائر فيه، وجميع غاياتها الدينية والتربوية لديه، من دون أن يترتّب عليها أيٌّ من النتائج السلبية، التي تتنافى مع تلك الأهداف والغايات، من قبيل توهين الاسلام ومدرسة أهل البيت عليهم السلام، أو الإساءة إلى مكانتهما، أو الإضرار بصورتهما.

فإن كانت النتيجة أنّ استحداث هذه الممارسة الشعائرية، أو إقامتها في هذا الواقع بعينه، تترتب عليه مجمل أهداف الشعائر وقيمها، من دون أن تترتب عليه تلك النتائج السلبية، التي تفوق نتائجها الايجابية؛ فهذا يعني صوابية هذا الاستحداث، وصحة هذا الفعل؛ بل ومطلوبية إقامة هذه الشعائر المستحدثة في ذلك الواقع الاجتماعي.

أما إن كانت النتيجة خلاف ذلك، بأن كانت هذه الممارسة الشعائرية، أو استحداثها في هذا الواقع، لا تترتّب عليه تلك الأهداف والنتائج المفترضة، وإنما يترتّب عليه ما هو خلافها أو يفوقها؛ فهنا ينبغي الإعراض عن تلك الممارسة الشعائرية في هذا الواقع، وعدم إقامتها فيه، والبحث عن تلك الممارسات الشعائرية البديلة، التي تحقق أهدافها وغاياتها فيه، وتنسجم مع ظروفه، وتتلاءم مع اعتباراته.

ثامنًا: من يقوم بعملية التطبيق الشعائري؟

ليس المراد بهذا السؤال بعده الشخصي (أي ليس السؤال عن أفراد بعينهم)، وإنّما المراد به بعده المعرفي؛ أي إنّ السؤال حول الخصائص والمواصفات المعرفية والمنهجية التي يجب أن تتوافر في من يقوم بعملية التطبيق الشعائري، واستحداث مصاديق جديدة للشعائر الحسينية، وفي من يشخّص صحة ممارسة هذه الشعيرة أو تلك من عدم صحّتها، في هذه البيئة المجتمعية والثقافية، أو في غيرها.

وبما أنّ عملية التطبيق الشعائري، واستحداث مصاديق مختلفة للشعائر، وتشخيص ممارستها، تقوم على بعدين: نظري-مفهومي، وواقعي-اجتماعي؛ فمعنى ذلك أنّ من ينبغي له أن يتولى تلك العملية يجب أن تتوافر فيه معرفيًا تلك المعرفة التي تتصل من جهة بالجانب الديني (منظومة الشعائر ولوازمها المعرفية)، وترتبط من جهة أخرى بالجانب الاجتماعي (مجمل العلوم ذات الصلة بهذا الجانب).

وبتعبير آخر: يمكن القول إنّ الذي يجب أن يتولى عملية استحداث

مصاديق جديدة، أو دراسة صحة هذه الممارسة الشعائرية أو تلك؛ هو العقل، الذي يمتلك في صناعته المنهجية بعدين: بعدًا دينيًّا، يرتبط برسالة الدين، ووظيفة الشعائر وأهدافها؛ وبعدًا معرفيًّا علميًّا، يتّصل بمجمل تلك العلوم والخبرات البشرية في مختلف المجالات الثقافية، والتربوية، والإعلامية، وفي حقول علوم النفس والاجتماع ذات العلاقة بهذا الجانب، فضلًا عن معرفته بمجمل تلك الشروط المنهجية الواجب معرفتها ومراعاتها في تلك العملية من التطبيق، أو التشخيص.

ومن هنا يمكن القول إنّ هذه العملية ليست عملية دينية بحتة بالمعنى الخاص للدين، وليست صناعة فتوائية منفصلة عن الواقع الاجتماعي وبيئته. ولذلك لا يصحّ أن توكل هذه العملية إلى أيّة جهة دينية، إذا لم تكن على دراية تامة بمجمل العلوم والخبرات ذات الصلة، وإذا لم تكن على معرفة كافية ووافية بجميع الاعتبارات، والظروف الاجتماعية، والعادات، والتقاليد، والأعراف، التي تملكها تلك البيئة المجتمعية المراد ممارسة الشعائر فيها، واستحداثها لديها.

وفي المقابل لا يصحّ أن توكل هذه العملية إلى أيّة جهة، مهما كانت متقدِّمة في مجمل علوم الاجتماع، أو النفس، أو التربية، أو الاعلام، أو الفن.. أو كانت على دراية تامة بمجمل الظروف والاعتبارات الاجتماعية والثقافية لهذه البيئة المجتمعية أو تلك؛ ما لم تكن على معرفة كاملة بتلك المنظومة الشعائرية، ولوازمها المعرفية، وعلى وعي هادف لرسالة الشعائر، وقيمها، وأهدافها، وجميع مقاصدها.

ومن هنا إذا ما أردنا أن نجيب عن هذا السؤال: هل هذه الممارسة الشعائرية في هذه البيئة المجتمعية أو تلك، في هذه الظروف أو غيرها، هل تنسجم مع رسالة الشعائر، وأهدافها، وقيمها، أم لا؟ فلن يكون من الصحيح عندها أن يُبادر إلى تقديم الجواب ما لم يتمّ توظيف جميع العلوم والخبرات والتخصّصات ذات الصلة، وما لم تتم الاستفادة من مجمل

أهل الاختصاص والمعرفة بجميع تلك العلوم ذات العلاقة بهذا البحث. وقد يحتاج الأمر إلى القيام بدراسات علمية هادفة وشاملة، للوصول إلى اعتماد هذا الجواب أو ذاك.

أمّا أن يُصار إلى الشروع في اعتماد هذا الجواب أو ذاك، من دون إيفاء هذا السؤال حقّه في البحث والدراسة والعمل -وخصوصًا في ما يرتبط بالبعد الاجتماعي، والتشخيص المجتمعي والعلمي للمصاديق الشعائرية- فهذا لا يعبّر عن مستوى الاحترام الكافي، أو الاهتمام المطلوب بتلك الشعائر ووظيفتها، ذلك الاهتمام الذي يجب أن يكون في تجلياته بمستوى تلك الشعائر، وسموّ رسالتها، وأهمية أهدافها.

وأمّا أن يكون الغالب هو الحماسة المفرطة، بعيدًا عن الالتزام بالضوابط والشروط في الصناعة المنهجية والعلمية للشعائر وممارستها؛ أو أن يغلب علينا -في المقابل- الخوف ممّن يتعمّد دائمًا الإساءة إلى الشعائر وأهلها، بعيدًا عن الاعتزاز بهذه الشعائر وممارستها؟؛ فإنّ كلًّا من هذين الأمرين لا يساعد على الوصول إلى صناعة شعائرية تنسجم مع أهداف الشعائر ومقاصدها.

وبناءً على ما تقدّم، ليس من الصحيح أن تكون هذه الصناعة الشعائرية صناعة شعبوية؛ وإنما يجب أن تكون صناعة يوفى حقّها في البحث، والدراسة، والعمل، من قبل أهل العلم والاختصاصات اللازمة، بعيدًا عن أيّة شعبوية قد تفتقد إلى الوعي اللازم بالشعائر ورسالتها، أو إلى المعرفة الكافية بالبيئة المجتمعية والثقافية، وظروفها، وجميع حيثياتها.

ومن هنا قد يكون من الضروري أن يكون هناك عمل مؤسّسي شامل، يُعنى بتلك الشعائر، ويتجاوز أي انشغال فردي أو فئوي عليها، ويشترك فيه جميع أهل العلم والمعرفة والاختصاص، ممّن له علاقة بذلك المجال من علماء الدين، والاجتماع، والتربية، والنفس، والإعلام، والفن.. من أجل دراسة مجمل المصاديق الشعائرية، ونماذج الشعائر الحسينية، وذلك في الموارد التالية:

- مدى صحة استحداث هذه المصاديق الشعائرية الجديدة، أو عدم ذلك.
- تجاوز مصاديق استحدثت في ما سبق.
- صحة اعتماد هذه الممارسة الشعائرية في هذه البيئة المجتمعية والثقافية بعينها، أو عدم صحة ذلك.

بل قد يكون من أهم الوظائف التي يُعنى بها ذلك العمل المؤسّسي، الذي يحتوي على إمكانياته العلمية والمعرفية الكافية، ما يلي:

- العمل على إنتاج مصاديق شعائرية جديدة، قد يكون لها تأثير أكبر، ودور أهم من مصاديق أخرى، في تحقيق أهداف الشعائر، وإنجاح رسالتها.
- دراسة مجمل تلك الممارسات الشعائرية مورد الجدل بشكل علمي ومنهجي، بعيدًا عن أي انفعال، أو شعبوية، أو حماسة أو... من أجل الوصول إلى خلاصات، ونتائج، وتوصيات، تخدم رسالة الشعائر وقيمها وأهدافها.

تاسعًا: ما هي فلسفة إحياء الشعائر؟

تتضمّن منظومة الشعائر الحسينية جملة من المعاني والقيم والدروس، التي ما وجدت لتبقى في إطارها النظري وبعدها المفهومي؛ وإنما ليُعمل على زرعها في النفوس، وإسكانها في القلوب، والتربية عليها، والدعوة إليها، وتحويلها إلى وعي مجتمعي، وثقافة مجتمعية، تؤمن بها، وتعمل بها جميع تلك المجتمعات، التي تحيي تلك الشعائر، وتقيمها في ربوعها.

ومن هنا كان من الضروري العمل على تحويل تلك الشعائر الحسينية إلى ممارسات ذات بعد اجتماعي، أو جماعي، أو احتفالي عام، يؤدّي تلك المهمة، ويوصل إلى تلك الغاية، بطريقة مؤثرة، وفاعلة، ومعبّرة عن سمو

تلك المعاني، ورفعة تلك القيم، ما يؤدّي إلى مزيد من احترامها، وتقديرها، وفهمها، والتفاعل معها، والإيمان بها، والعمل بمضمونها، وبلوغ جميع أهدافها، ومقاصدها.

وعليه، فإنّ أية ممارسة شعائرية يجب أن تتّصف بالشروط التالية:

- أن تحمل تلك القيم، والمعاني، والعبر، والدروس التي جاءت بها ثورة الإمام الحسين عليه السلام، ورسالته، وشعائره.
- أن تكون قادرة على إيصال تلك المعاني، والتعبير عن تلك القيم، بشكل فعّال، ومؤثّر، وهادف.
- أن تكون خالية من أية دلالات سلبية، قد تغطّي على تلك المعاني، أو تشوّه تلك القيم، أو تسيء إلى رسالة الشعائر.

ولذلك، فما ينبغي الإلفات إليه، هو أنّ تلك الممارسات الشعائرية للشعائر الحسينية لا تهدف في فلسفتها إلى إثبات الوجود، أو إلى مجرد التعبير عن الهوية بأية طريقة كانت، حتى لو كان هذا التعبير تعبيرًا يفتقد إلى شروطه العلمية المنهجية، أو مشوهًا للقيم، أو مسيئًا إلى رسالة الإمام الحسين عليه السلام ومعانيها؛ وإنما هي تهدف في فلسفتها، إلى إحياء النفوس بتلك المعاني، وإلى إيقاظ القلوب بتلك القيم، وتربية الأفراد على تلك الدروس، وبناء المجتمعات بتلك الثقافة، وذاك الوعي الذي تحمله الشعائر ويُقيم في رسالتها.

ومن هنا فإن تلك الممارسة الشعائرية ليست -في حقيقتها- استجابة إلى حاجة نفسية، اجتماعية، شعبوية فارغة من معناها؛ وإنما هي تعبير عن مشروع رسالي هادف، وفعل قيمي جادّ. إنها تحكي عن منظومة من المعاني والدروس والعِبر، التي يُراد بيانها وإظهارها من خلال التوسل بتلك الممارسات ذات البعد الاجتماعي والاحتفالي، الذي يصلح للحكاية عن تلك المعاني، والتعبير عن تلك القيم، وإظهار تلك الرسالة، والوصول إلى أهدافها.

عاشرًا: الممارسة الشعائرية ودلالتها:

إنّ أيّة مدرسة دينية، تُفهم بوصفها ظاهرة اجتماعية أكثر ممّا تفهم بوصفها ظاهرة نصّيّة، أو مجرّد رؤية فكرية. وذلك من خلال تجلّياتها الاجتماعية في ممارساتها، وثقافتها الاجتماعية، وسلوك مجتمعاتها، وأخلاقها في مختلف المجالات والميادين ذات الصلة بالاجتماع الإنساني.

ومن هنا تأتي أهمية تلك الممارسة الشعائرية، أو الظاهرة الشعائرية، في أنّها تقدّم صورة اجتماعية حيّة عن تلك المدرسة الدينية أو الفكرية ومعانيها وقيمها. بمعنى أنه بمقدار ما تكون تلك الممارسة الشعائرية ممارسة راقية ومعبّرة وسامية؛ فإنّها تؤدّي إلى تقديم صورة راقية وسامية ومعبّرة عن تلك المدرسة ومعانيها وقيمها.

وفي المقابل، بمقدار ما تكون تلك الممارسة الشعائرية غير مكتملة الأوصاف، وتعاني من خللٍ أو آخر، فإنّها تؤدّي إلى الإضرار بتلك المدرسة، والإساءة إلى معانيها، ولربما تشويه صورتها، وتوهين مكانتها.

ومن هنا جاءت العديد من الفتاوى ذات الصلة بهذا الموضوع لتؤكّد على هذا المعيار، وهو تجنّب ما يؤدّي إلى توهين المذهب، أو توهين المقدسات، أو تضعيف التشيع، وغيرها من التعابير التي وردت في هذا الإطار، والتي تؤكّد في مجملها على ذلك البعد الاجتماعي في الممارسة الشعائرية[1]، وهي تعبّر عن خوف حقيقي، وهاجس مجتمعي في هذا الإطار، يمكن لحاظه بوضوح في كثير من الاستفتاءات والأسئلة التي تطرح في هذا السياق، وهو (أي ذاك الخوف أو الحذر) ما ينبغي أن يستثمر في إنتاج وعي علمي ومنهجي كافٍ في الممارسة الشعائرية وصناعتها.

هذا مضافًا إلى أمر آخر لا ينبغي أن نتغافل عنه؛ وهو أنّ أية ممارسة

(1) انظر على سبيل المثال: الهاشمي، محمود: الصراط (أجوبة الاستفتاءات)، ط1، قم المقدّسة، مركز أهل البيت عليهم السلام للفقه والمعارف الإسلامية، 2014م، ص407-410؛ كما يمكن مراجعة تقرير محاضرات الشيخ محمد السند في هذا الموضوع، والتي طبعت بعنوان: «الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد» (ط1، قم المقدّسة، دار الغدير، 2003م، ص178-186).

شعائرية، إنما تعكس مستوى الوعي الاجتماعي والثقافة المجتمعية لأي مجتمع. أي إنّ الممارسة الشعائرية السامية، إنما تعبّرعن رقي الثقافة المجتمعية، وتقدّم الوعي المجتمعي لذاك المجتمع، الذي يعتمد تلك الممارسة ويقوم بها، في حين أنّ أية ممارسة شعائرية ذات طابع شعبوي فاقد للمواصفات اللازمة، إنما تعبّر في المقابل عن غلبة الثقافة الشعبوية في ذاك المجتمع، الذي يعتمد تلك الممارسة ويحترفها.

كما نستطيع القول في المقابل إن المجتمعات التي تملك ثقافة مجتمعية راقية ومتقدمة، لا يمكن لها أن تنتج إلا مستوى راقيًا من تلك الممارسات الشعائرية، التي تعبّر بشكل ناجح، ومؤثر، وبشكل هادف وصادق عن جميع تلك المعاني، والقيم، والدروس، والعبر، التي تحملها ثورة الإمام الحسين عليه السلام وتؤدّيها رسالة الشعائر.

أمّا المجتمعات التي لا تمتلك ذلك المستوى نفسه من الثقافة المجتمعية، فقد لا يساعدها ذلك على إنتاج ذلك النوع من الممارسة الشعائرية في رقيّها ومستواها وتأثيرها، بالمقارنة مع غيرها من المجتمعات الأخرى، وإن كانت تشترك في التوجهات الشعائرية نفسها.

حادي عشر: الشعائر وروح المسؤولية:

ما نعنيه بهذا العنوان هو التأكيد على خطورة المسؤولية في قضية الشعائر، وأن جملة الاعتبارات والدلالات التي ذكرناها آنفًا، يجب أن تدفع إلى اعتماد نمطٍ من التفكير، وطريقة في المعالجة، وأسلوب في إدارة تلك القضايا؛ يوصل إلى نتائج أفضل، وإلى مخرجات أكثر صحة، ويساعد على تحقيقٍ أحسن لمجمل أهداف منظومة الشعائر وقيمها.

إن تنمية حس المسؤولية تجاه الشعائر وصناعتها وممارستها، لهو المدخل الأهم إلى تطوير الوعي بتلك الشعائر، وتجنب أية عوامل ومؤثرات غير عقلانية، قد تؤدي إلى أخذ بعض تلك الممارسات إلى ما يتنافى مع فلسفة الشعائر وأهدافها. وخاصة عندما تكون تلك العوامل والمؤثرات

ذات بعد شعبوي، يفتقد إلى مضمونه العلمي والمنهجي.

إن العمل على تنمية الشعور بالمسؤولية؛ يتأتّى من خلال إدراكنا لأمرين اثنين:

الأول: وهو الأهم؛ وهو أنّ تلك الممارسات الشعائرية، إنما تعبّر بالدرجة الأولى عن معاني الثورة الحسينية ورسالتها؛ بل عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام وقيمها. ومن هنا فإن هذه الممارسة ينبغي لها أن تُبرز سمو تلك المعاني، ومكانة تلك الرسالة، وحضاريّة تلك القيم، وأن تكون في مجمل تعابيرها وتجلياتها مستمدة من سموّ تلك المعاني، ومكانة تلك الرسالة، وحضاريّة القيم، وأن يكون ذاك التعبير بطريقة تؤدّي إلى مزيد من احترامها، وتقديرها، وتسهم في الدعوة إليها، والإيمان بها، وتوصل إلى الحكاية عنها بأرقى الصور، وأجمل التعابير، وأسمى التجليات.

وعليه؛ يمكن القول إنّ طريقة ممارسة الشعائر، إما أن تؤدّي إلى تحقيق تلك الأهداف والوصول إلى تلك النتائج، من احترام معاني عاشوراء، وتبجيل قيم الثورة الحسينية، بل أيضًا مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وتعاليمها؛ وإما أن تؤدّي -ولو في بعض تعابيرها- إلى خلاف ذلك؛ كأن يترتّب عليها شيءٌ من الإساءة إلى تلك المعاني العاشورائية، أو التوهين لقيم الثورة الحسينية، أو عدم التعبير بشكل صحيح وراقٍ عن تلك المعاني والقيم. ولربما تؤدّي أحيانًا إلى الإضرار بمكانة مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وصورتها، وسموّ قيمها.

وهذا ما يتطلب أن يكون منطلق تفكيرنا في هذا الموضوع غير نابعٍ من أي منطلقٍ شخصي، أو جماعتي، أو شعبوي، أو استقطابي.. وإنما من منطلق يرتبط بما تعبّر عنه تلك الشعائر في أهدافها، وقيمها، ورسالتها.

ولا شك في أنّ الانطلاق بشكل صادق ومخلص وهادف من هذه المنطلقات، سوف يجعل المقاربة أكثر قدرة على تلمس ما هو صائب، والوصول إلى ما هو صحيح في تشخيص مصاديق الإحياء الشعائري،

وتقديم نماذجه الأقدر على القيام بوظائف الشعائر، وتأدية رسالتها، وتحقيق جميع أهدافها.

الثاني: إنّ هذه الممارسات الشعائرية، إنما تعبّر أيضًا عن مستوى الثقافة المجتمعية والوعي المجتمعي لتلك المجتمعات، التي تعنى بتلك الممارسات. وبالتالي فهي تبرز من خلال تلك الممارسات وطريقتها مستواها الثقافي والحضاري والمدني.. ليس كمجتمعات مجردة عن مدرستها الفكرية والدينية، وإنما بما هي مجتمعات ينبغي أن تكون قد بنت تلك الثقافة، وتلك الأبعاد الحضارية، من خلال تلك المدرسة، ومعانيها، وقيمها.

وعليه، فإنّ الارتقاء بتلك الممارسات الشعائرية إلى مستويات أعلى في التعبير والصناعة، سوف يؤدي حُكمًا إلى تقديم أكثر من صورة مشرقة عن تلك المجتمعات، وثقافتها، ووعيها. ومن وراء ذلك عن تلك المدرسة الفكرية والدينية، التي تستمد منها تلك المجتمعات ذلك الوعي الذي تحمل، وتلك الثقافة التي تملك، وجميع تلك المعاني الحضارية التي تؤمن بها.

وفي المقابل، فإنّ الإخفاق في ذاك التعبير، أو الخلل في تلك الصناعة، سوف يؤدّي إلى الانتقاص من تلك المجتمعات ومكانتها. ومن وراء ذلك إلى الانتقاص من تلك المدرسة التي تعبّر عنها تلك المجتمعات، وتؤمن بها، وتعمل على الالتزام بها، وتحقيق معانيها.

وهذا -أيضًا- ما يعزّز الشعور بتلك المسؤولية، ويرفعها إلى مستويات أرقى. وإن أمكن القول -أيضًا- إنّ تعزيز هذا الشعور بالمسؤولية، وما يستولده من طاقة للعمل البحثي، والديني؛ لا يكفي لوحده في بلوغ تلك النتائج، لأنّ من الواجب أن يُضاف إليه العمل على منهجة البحث والتفكير في هذه الموضوعات والإشكاليات، وأخذها إلى أبعاد أكثر علمية وموضوعية.

وهنا، إذا استطعنا أن نعمل على تنمية الشعور بالمسؤولية، وأن نرتقي

بمنهجية التفكير والبحث وعقلانيته وعلميته إلى مستويات أفضل... فحينها يمكن في هذا الحال أن نرتقي في توظيف تلك المسؤولية والشعور بها إلى مستويات أفضل في الصناعة الشعائرية والتطبيق الشعائري، وأن نتوقع نتائج أكثر انسجامًا مع رسالة الشعائر وقيمها.

خاتمة:

إذا كان لدينا من إشكالية في موضوع الشعائر وممارستها، فهذه الإشكالية ترتبط -أكثر من أي شيء آخر- بالمنهج والتطبيق. أي إنّ الإشكالية أكثر ما تكمن في تشخيص المصاديق الشعائرية، وفي المنهج الذي يُمكِّن من تشخيص تلك المصاديق بشكل صحيح، ينسجم مع أهداف الشعائر ورسالتها وقيمها. وإن كان هناك مساحة ما ترتبط بفهم منظومة النصوص الشعائرية، ومجمل ما يتصل بها.

وبما أن تطوير المنهج في تطبيق الشعائر، وصناعة مصاديقها، وكيفية ممارستها، هو المدخل الضروري لتحديد جملة من المعايير والضوابط، التي تساعدنا على تقويم أي مصداق شعائري إشكالي، إن كان ينسجم مع أهداف الشعائر وقيمها أم يتنافى معها؛ كان من المجدي في هذا المجال تحديد مفردات ذلك المنهج الشعائري، ومعاييره، والعمل على بنائه. ذلك المنهج الذي -ومن دون أي شك- قد يساعد على فهم تلك المنظومة الشعائرية بشكل أفضل، ولو في بعض مواردها، وإن كان يستهدف في مقاصده وغاياته وضع أسس وضوابط منهجية، يمكن أن يستند إليها في تطوير التطبيق الشعائري، وفي تمييز تلك المصاديق الشعائرية الإشكالية بشكل منهجي، ليُرى إن كانت تتماشى مع تلك المعايير والضوابط أم لا، وفي توفير إمكانية منهجية تُوظّف في إبداع مصاديق شعائرية، قد تكون أكثر قدرة على حمل رسالة الشعائر وبيان قيمها، ولربما تسهم أيضًا -بمستوى أو بآخر- في معالجة بعض ذلك الاختلاف والجدل القائم حول مشروعية بعض المصاديق الشعائرية، أو مدى انسجامها مع منظومة الشعائر الحسينية من عدمه.

ونحن لا ندّعي -هنا- أنّ هذه المحاولة سوف تقضي على أي اختلاف قائم في هذا الإطار، وإنما قد تسهم في جعل ذلك الاختلاف وممارسته أكثر علمية، ومشدودًا أكثر إلى تلك الضوابط والمعايير المنهجية في منهج التطبيق، ما قد يؤدّي إلى تقليص مساحة الاختلاف، أو بالحدّ الأدنى جعله أكثر منهجية وموضوعية. كما يؤدي إلى إيجاد قاعدة منهجية يمكن الانطلاق منها في ممارسة ذلك الاختلاف وحسن إدارته وتوظيفه.

وقد نكون استطعنا أن نحقّق ما هدفنا إليه، أو شيئًا منه، لكن مما لا شك فيه أنّ ما جاء في هذه المقالة قد يساعد على الدفع بقوة نحو الأهداف التي أريد العمل على بلوغها، والوصول إليها.

وفي الختام، نشير إلى مجموعة من التوصيات والمقترحات، نوجزها في الآتي:

أ. التوصيات:

توجد مجموعة من التوصيات التي ينبغي الإلفات إليها في هذا الشأن، وسوف نبدأ فيها من حيث انتهينا في البحث:

1 -يجب أن ندرك حجم المسؤولية، وخطورتها في موضوع الشعائر وممارستها، وأن نعمل على تنمية حسّ المسؤولية والوعي بها، من حيث النتائج والدلالات التي تترتب على تلك الشعائر وممارستها على أكثر من مستوى.

2 -التجرّد عن الذاتية في الممارسة الشعائرية والتطبيق الشعائري، سواء أكانت هذه الذاتية فردية أم فئوية؛ لأنّ هذا التجرّد هو من أهمّ العوامل المساعدة على صوابية الممارسة والتطبيق.

3 -مضافًا إلى ما سبق، يمكن القول بضرورة عدم التعصّب للرأي؛ لأنه من أخطر الآفات التي قد تقفل الباب على إمكانية الاهتداء إلى الصواب، وإدارة الاختلاف بشكل صحيح ومفيد؛ بل إن طريقة ممارسة الاختلاف

تعبّر -من ضمن ما تعبّر عنه- عن وعي المختلفين ومستواهم الثقافي، وعن مدى التزامهم بالقيم الدينية التي يدعون إليها.

4 -اعتماد الحوار، وأخلاقياته، وأساليبه في هذا الموضوع؛ لأنه المدخل الصحيح والضروري لتطوير الوعي الشعائري لدينا، وتنمية الثقافة الشعائرية في مجتمعاتنا، بطريقة تساعد على تحقيق أهداف الشعائر، وبلوغ مقاصدها.

5 -حسن الظن بأهل العلم والدين والحكمة، وأصحاب التجربة والعقل؛ لأنه الشرط الأساس للاستفادة منهم، ومن آرائهم وتجربتهم، في مجمل ما يرتبط بالشعائر وقضاياها.

6 -تعزيز البعد المنهجي والعلمي في معالجة جميع الإشكاليات والقضايا التي تتصل بالمنظومة الشعائرية وموضوعاتها.

7 -متابعة البحث في المنهج (منهج التطبيق الشعائري)؛ لأنه بمقدار ما يُغني هذا البحث، يسهم في منهجة الوعي والتفكير في مجمل قضايا الشعائر بشكل أفضل، وهو ما تترتّب عليه العديد من الفوائد والنتائج في مختلف الميادين.

8 -إشباع الموضوعات والإشكاليات الشعائرية دراسة وبحثًا، بجميع أبعادها ذات الصلة، من اجتماعية، وتربوية، وإعلامية، وسيكولوجية، وثقافية... فضلًا عن بعدها الديني.

9 -عدم التأثّر بالمزاج الشعبوي، أو بأيّة عوامل ومؤثرات أخرى غير موضوعية، من قبيل الحماسة المفرطة، وغيرها من العوامل، بعيداً عن التزام الضوابط، والمعايير المنهجية في الصناعة الشعائرية، وممارسة الشعائر.

10 - عدم التأثّر في المقابل بأية عوامل أو مؤثرات قد تدفع بعيدًا عن حمل رسالة الشعائر، وتأديتها بثقة عالية، وعزّة كافية بالهوية والولاء، وممارسته في الإطار الشعائري.

11 - عدم التردَّد في مغادرة أيّة ممارسة شعائرية، يتبيّن بالدليل أنها لا تخدم رسالة الشعائر ولا تنسجم مع قيمها، أو يترتّب عليها من السلبيات ما يفوق الإيجابيات.

12 - العمل على تطوير جميع الآليات، والأدوات المنهجية وغير المنهجية التي تؤسس لدينامية تطوير دائمة وخلاّقة في الإطار الشعائري.

13 - السعي الدائم إلى الابتكار وإلى استحداث أعمال، ومصاديق شعائرية جديدة، ذات بُعد فني (أفلام، مسلسلات...)، أو إعلامي، أو غير ذلك، قد يكون لديها قدرات تعبيرية كبيرة جدًّا واستثنائية، بالمقارنة مع غيرها من الأعمال والمصاديق.

14 -الرصد والمتابعة لجميع المتغيرات أو التطورات العلمية أو الاجتماعية، ممّا له دخل في التطوير الشعائري؛ بهدف الاستفادة منها في هذا المجال.

15 -الالتفات إلى أن أيّة ممارسة شعائرية -على مستوى دلالاتها وآثارها- لم تعد مغلقة على بيئتها المجتمعية الضيّقة، كما كان عليه الحال في الماضي.

16 -أن يبقى الانشداد دائمًا في أيّة معالجة أو ممارسة شعائرية إلى رسالة الشعائر، وأهدافها، وقيمها، التي كانت من أجلها، وبهدف التعبيرعنها.

17 -أن يكون الإخلاص أساس أي مشاركة أو إسهام في أي عمل شعائري؛ لأنه الشرط الأساس في سلامة العمل، وفي قدرته على بلوغ مقاصده.

ب. المقترحات:

لتحقيق مجمل الأهداف والتوصيات ذات الصلة بالشعائر ووظائفها ومقاصدها، يمكن تقديم المقترحات التالية:

1 -بناء آليات للتواصل الفعّال، والمنظّم، والهادف، بين مختلف الجهات التي تعنى بموضوع الشعائر، ومجالاتها، بهدف التفاعل الإيجابي والبنّاء لتنمية الوعي بالشعائر، وتطوير القدرة على حمل رسالتها، وتأدية جميع وظائفها.

2 -المبادرة إلى إنشاء مؤسسة تعنى بالظاهرة الشعائرية وجميع ما يرتبط بها، تملك من الخبرات والإمكانيات ما يساعدها على العمل الجادّ لتنمية تلك الظاهرة وتطويرها، والقيام بمجمل المهام والوظائف التي تتصل بها وبقضاياها. وقد يضاف إلى الاهتمام بتلك الظاهرة الشعائرية جميع ما يرتبط بالخطاب العاشورائي وموضوعاته.

3 -قد يكون من المجدي والمفيد في هذ الإطار العمل على تنظيم مؤتمر دولي يعالج جميع إشكاليات الشعائر وقضاياها. تحتشد فيه أهم الخبرات والطاقات العلمية ذات الصلة، وتسوده جميع أجواء التفاعل الإيجابي والبنّاء، بهدف تبادل الأفكار والخبرات، لتطوير الوعي الشعائري، وتنمية تلك الظاهرة الشعائرية بشكل مستديم، وصحيح، وفعّال.